المحاضرة السادسة: المدارس الاقتصادية(الليبراليون والماركسيون).

1. المدرسة الليبرالية:

هي فلسفة اقتصادية وسياسية واجتماعية، وطريقة في التفكير، تدور حول الإنسان والسياسة والاقتصاد، تؤكد على الحرية الفردية المطلقة في جميع مجالات الحياة، وعدم التقيد بأي ضوابط أو قيود، فالإنسان تابع لنفسه وهواه، وهي تعني الانفلات باسم الحريات والتحرر التام من كل أنواع الضغط الخارجي، وعليه فإن النواة الأساسية للفكر الليبرالي هو حرية الفرد الغير محدودة، باعتبار أن الليبرالية منظومة فكرية شاملة تعطي تصور كامل عن الإنسان وأسباب وغاية وجوده وسعادته.

نشـأة الليبراليـة:

جاء ظهور الفكر الليبرالي محصلة لتراكمات تاريخية طويلة شكلت امتدادا لصيرورة التّطور البشري الشامل، والانتقال من المراحل البدائية إلى الأكثر تعقيدا، ارتباطا بتطور المجتمعات البشرية، وما راكمته من تجارب ومعارف علمية ونمو اقتصادي وتبّدلات اجتماعية متنوعة.

فالفكر الليبرالي ساهم فيه عّدة مفكرين وفلاسفة أعطوه شكله الأساسي وطابعه المميز، فكان تراكم للخبرات البشرية المرتبطة بالمصالح الاجتماعية والاقتصادية في ظروف تاريخية معينة، وميلاد الليبرالية كان في القرن السابع عشر مع **جون لوك** إضافة إلى **جون ستيوارت ميل** في القرن التاسع عشر، وهما الرائدان اللذان وضعا الأفكار المولدة للنظرية.

تطور الليبرالية:

أخذت الليبرالية أطوارا متعددة بحسب الزمان والمكان وتغيرت مفاهيمها في أطوارها المختلفة، وهي تتفق في كل أطوارها على التأكيد على الحرية وإعطاء الفرد حريته وعدم التدخل فيها. ويمكن أن نشير إلى طورين مهمين فيها:

- **الليبرالية الكلاسيكية** :يعتبر جوك لوك 1704 أبرز فلسفة الليبرالية الكلاسيكية، ونظريته تتعلق بالليبرالية السياسية، وتنطلق نظريته من فكرة العقد الاجتماعي في تصوره لوجود الدولة، وهذا في حد ذاته هدم لنظرية الحق الالهي التي تتزعمها الكنيسة.

وقد تميز لوك عن غيره من فلاسفة العقد الاجتماعي بأن السلطة أو الحكومة مقيدة بقبول الأفراد لها ولذلك يمكن بسحب السلطة الثقة فيها.

وهذه الليبرالية الانكليزية هي التي شاعت في البلاد العربية أثناء عملية النقل الأعمى لما عند الأوربيين باسم الحضارة ومسايرة الركب في جيل النهضة كما يحلو لهم تسميته.

يقول القرضاوي: وهي التي يمكن أن يحددها بعضهم بليبرالية ألوكز وهي التي أوضحها جوك لوك وطورها الاقتصاديون الكلاسيكيون، وهي ليبرالية ترتكز على مفهوم التحرر من تدخل الدولة في تصرفات الأفراد، سواء كان هذا في السلوك الشخصي للفرد أم في حقوقه الطبيعية أم في نشاطه الاقتصادي آخذا بمبدأ دعه يعمل.

وقد أبرز أدم سميث 1790االليبرالية الاقتصادية وهي الحرية المطلقة في المال دون تقييد أو تدخل من الدولة.

وقد تكونت الديمقراطية والرأسمالية من خلال هذه الليبرالية، فهي روح المذهبين وأساس تكوينها، وهي مستوحاة من شعار الثورة الفرنسية" دعه يعمل " وهذه في الحرية الاقتصادية "دعه يمر" في الحرية السياسية.

- **الليبرالية المعاصرة:** تعرضت الليبرالية في القرن العشرين لتغير ذي دلالة في توكيداتها. فمنذ أواخر القرن التاسع عشر، بدأ العديد من الليبراليين يفكرون في شروط حرية انتهاز الفرص أكثر من التفكير في شروط من هذا القيد أو ذاك. وانتهوا إلى أن دور الحكومة ضروري على الأقل من أجل توفير الشروط التي يمكن فيها للأفراد أن يحققوا قدراتهم بوصفهم بشرا.

ويحبذ الليبراليون اليوم التنظيم النشط من قبل الحكومة للاقتصاد من أجل صالح المنفعة العامة. وفي الواقع، فإنهم يؤيدون برامج الحكومة لتوفير ضمان اقتصادي، وللتخفيف من معاناة الانسان.

وهذه البرامج تتضمن: التأمين ضد البطالة، قوانين الحد الأدنى من الأجور، ومعاشات كبار السن، والتأمين الصحي.

ويؤمن الليبراليون المعاصرون بإعطاء الأهمية الأولى لحرية الفرد، غير أنهم يتمسكون بأن على الحكومة أن تزيل بشكل فعال العقبات التي تواجه التمتع بتلك الحرية. واليوم يطلق على أولئك الذي يؤيدون الأفكار الليبرالية القديمة المحافظون.

ونلاحظ أن أبرز نقطة في التمايز بين الطورين السابقين هو في مدى تخل الدولة في تنظيم الحريات، ففي الليبرالية الكلاسيكية لا تتدخل الدولة في الحريات بل الواجب عليها حمايتها ليحقق الفرد حريته الخاصة بالطريقة التي يريد دون وصاية عليه، أما في الليبرالية المعاصرة فقد تغير ذلك وطلبوا تدخل الدولة لتنظيم الحريات وإزالة العقبات التي تكون سبباً في عدم التمتع بتلك الحريات.

وهذه نقطة جوهرية تؤكد لنا أن الليبرالية اختلفت من عصر إلى عصر، ومن فيلسوف إلى آخر، ومن بلد إلى بلد، وهذا يجعل مفهومها غامضا.

وقد تعرف الليبرالية تطورات أخرى في المستقبل، ولعل أبرز ما يتوقع في الليبرالية هو التطور نحو العولمة.

الأسس الفكرية لليبرالية:

إن كل فكر بحاجة الى أسس ومرتكزات ينطلق منها للتنظير من جهة، ولخلق القاعدة الجماهيرية من جهة أخرى، وكذا هو الحال مع الفكر الليبرالي الذي اتخذ من الحرية والفردية والعقلانية والمساواة أسس فكرية، وقد وضع لهذه الاسس عناصر الالزام التي تتفق مع المنطلقات الفكرية له.

تقوم الليبرالية على أسس فكرية هي القدر المشترك بين سائر اتجاهاتها وتياراتها ولا يمكن عد أي فرد ليبراليا لا يقر بهذه الأسس ولا يعترف بها لأنها الاجزاء المكونة للفكر الليبرالي والمميزة له عن غيره وأهم هذه الاسس هي:

- **الحرية** : جاء في اعلان حقوق الانسان والمواطن الفرنسي عام 1789تعريف الحرية بأنها حق الفرد بأن يفعل كل مالا يضر بالآخرين ولا يمكن اخضاع الحقوق الطبيعية لقيود الا من اجل تمكين اعضاء الجماعة الاخرين من التمتع بحقوقهم ،وهذه القيود لا يجوز فرضها الا بقانون، فالفرد حر في أفعاله ومستقل في تصرفاته دون أي تدخل سواء من الدولة أو أي مؤسسة أخرى ،اذ أن الليبرالية من الناحية الفكرية تعني حرية التفكير

والاعتقاد والتعبير، ومن الناحية الاقتصادية تعني حرية الملكية الشخصية وحرية الفعل الاقتصادي المنتظم وفقا لقوانين السوق ،وعلى المستوى السياسي تعني حرية التجمع وتأسيس الاحزاب واختيار السلطة، وهكذا اننن الحرية لا تمثل مبدأ من جملة مبادئ ، بل هي مرتكز لتأسيس غيرها من المبادئ، الا أن هذه الحرية مقيدة بقانون الذي يوصف بأنه ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري شريطة ان تكون هذه القوانين لا تمثل استبدادا مفروضا من خارج الفرد تقيد حريته التي تتمثل في حقوقه وحرياته المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية وغيرها.

- **الفردية:** عرفت الفردية كملمح اساس لعصر النهضة الذي جاء كردة فعل لفكر القرون الوسطى ويحرر الفرد من الانضباط الكاثوليكي الطويل، اذ ارتبطت الحرية بالفردية ارتباطا وثيقا فأصبحت الحرية تعني استقلال الفرد وحريته، وجاءت الفردية بمفهومين مختلفين:

الأول: الفردية بمعنى الانانية وحب الذات وهذا المعنى هو الذي كان سائدا على الفكر الغربي منذ عصر النهضة الى القرن العشرين وكان الاتجاه التقليدي للأدبيات الليبرالية.

الثاني: بمعنى استقلال الفرد من خلال العمل المتواصل والاعتماد على النفس، وهذا الذي ساد في الاتجاهات المعاصرة لليبرالية وما عرف بالبراغماتية.

ان الليبرالية تدفع بالفرد الى المقدمة وتمجده الى ان يصبح هو الحقيقة، وتقدم الحجة بأن الافراد هم الذين يصنعون المجتمع، وأن سعادة الفرد هي رفاهية المجتمع ،وهو مركز الحياة الاجتماعية، لذا ينبغي على الدولة أن تترك الفرد حرا لان يعمل في تنمية مصالحه وشخصيته، وعلى الدولة ان تقف بعيدا ويكون واجبها الاوحد هو ان تحمي الفرد ومصالحه، اذ يقول هربرت سبنسر أن الفرد ليس له سوى حق واحد هو حق الحرية المتساوية مع كل فرد أخر وليس للدولة سوى واجب واحد وهو واجب حماية ذلك الحق ضد العنف والغش وأن الحجة الاخلاقية في الدفاع عن الفردية قد وضحها كانت وفخته وهمبولدت وجون ستيوارت ميل، فهمبولدت يقول: أن هدف الدولة يجب أن يقوم على تنمية قدرات جميع الأفراد من المواطنين في فردانيتهم الكاملة حتى أنه يجب عليها لذلك ألا تسعى لتحقيق أي هدف أخر سوى ما لا يستطيعون تحقيقه بأنفسهم أي الأمن، فتدخل الدولة في حرية الفرد يدمر الى إقدامه على الشروع في الأعمال واعتماده على نفسه مما يضعف احساسه بالمسئولية ويمتص أنشطته ويشل شخصيته.

- **العقلانية: وتعني** استقلال العقل البشري بإدراك المصالح والمنافع دون الحاجة الى قوى خارجية وقد تم استقلاله نتيجة تحرره من السلطة الدينية اللاهوتية، ويتضح مرتكز العقلانية في الفكر الليبرالي من خلال الاتي:

- ما دامت الحقوق التي يسعى الفرد لتأكيدها لذاته هي بالأساس حقوقا طبيعية، فإن طريقة معرفتها هو العقل وأدواته كالحس والتجربة.
- إن العقل في الفكر الليبرالي هو عقل مادي لا يؤمن الا بالمحسوسات، لذا فان كل شيء مبني بناءا غير علمي لا يصح جعله مصدرا للمعرفة.

- إن القانون الذي يضبط الحرية من الانفلات عند كل الاتجاهات الليبرالية هو قانون وضعي يعتمد العقل المجرد في التشريع فالمصدر الوثيق في القانون وفي المجال الخاص بالفرد هو العقلانية.

2. المدرسة الماركسية:

ظهور المدرسة الماركسية:

ظهرت الماركسية كضرورة حتمية للدفاع عن وضعية الاحزاب الشيوعية في الدول الاشتراكي، في فترة عرفت هزات اجتماعية وسياسية عنيفة في القرن 19نجمت عن رواج مفاهيم الديمقراطية والتحرر وتناقضات الاقتصاد الرأسمالي، ولعل أبرز هذه الهزات، تلك الحركات الليبرالية والقومية لعام1848م وثورة العمال الباريسيين المعروفة بكمونة باريس عام1871، وهو ما يدل على أن الاقتصار على شعارات حقوق الانسان لعام 1789 لم يعد كافيا، ولابد من الأخذ بعين الاعتبار مطالب الشرائح الاجتماعية الشعبية، وخاصة منها البروليتارية الصناعية.

نشأت الماركسية على يد كارل ماركس الذي كتبها سنة 1843 كنقد لفلسفة قانون هيجل، والذي بين فيه أن الدولة لا تشكل المجتمع المدني، بل بالعكس تماما. وهو أن المجتمع المدني هو من يشكل الدولة، وعند دراسته لأعمال الباحثين الانجليز والفرنسيين "سميث، ريكاردو، ميل، سيسمو دي" اكتشف ماركس مدى أهمية العامل وتبلورت لديه هذه الافكار خاصة بعد ثورات 1848وبين أن العلاقة بين الناس قائمة على علاقات الانتاج المتمثلة في مصادر الطاقة، مواد أولية، عمال، واعتبر حسب دراسته هذه أن نمط الانتاج هو من يحدد نوعية الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، وبالتالي فالتاريخ حسب ماركس هو تعاقب انماط الإنتاج المختلفة.

فرضت المدرسة الماركسية بعد الحرب العالمية الثانية نفسها فانخرط فيها العديد من المثقفين في الحزب الشيوعي مابين 1945و 1960واتجهت اهتماماتهم للقضايا الاجتماعية عامة والعمالية خاصة.

أهم نظريات المدرسة الماركسية:

- **نظرية الصراع الطبقي**: يرى كارل ماركس أن الصراع بين الطبقات هو أساس تطور محرك التاريخ ، و أن كل مجتمع ما هو إلا نتيجة لتاريخ الصراع بين الطبقات الذي اعتبره العنصر الفعال في تطور المجتمعات ، حيث يؤكد كارل ماركس أن الصراع القائم بين الطبقات هو صراع مصالح بين هذه الطبقات الاجتماعية التي يراها تناقضات داخلية تخرج من المجتمع وتنجم أساسا عن تأثير علاقات الإنتاج على حياة الناس ، وتؤثر على كيفية تفاعلها فالطبقات المالكة لوسائل الإنتاج تكون قادرة على استغلال الطبقات الأخرى ، ومن جهة أخرى فإن الطبقات التي يقع على كاهلها نتائج الاستغلال تهتم بإحداث تغيرات رئيسية في ذلك النظام لتصنع حدا للاستغلال ، إذا صار لها وعي كافي تصبح الثورة لا مفر منها ، ومن نتائج هذه الثورة المزيد من التقدم التكنولوجي الذي لم يكن متواجدا من قبل .
- **نظرية المادية الجدلية**: وضعها كل من كارل ماركس، وزميله فردريك انجلز، ولكن لينيين هو من قام بنشرها وتطويرها، وسميت ب المادية الجدلية لأن مؤسسوها يؤمنون بأن جوهر العالم هو المادة، وأنها – المادة – أسبق من الفكر والفكر انعكاس لما يقع خارجه في العالم المادي الطبيعي، وفي الحياة الاقتصادية، والحياة الاجتماعية،

وأن الأشياء والأفكار تتفاعل معا في حركة جدلية، وتبقى الأشياء المادية سابقة على وجود أفكارنا وهذه الأشياء في تغيير وتطور مستمر.

تأثر كارل ماركس بالفلسفة الألمانية وأخذ عن هيغل الجدل الديالكتيكي، حيث كان هيغل يبدأ جدله من الفكرة التي تنتج عنها المادة وأن الفكر أسبق من الواقع، لكن ماركس قلب جدل هيغل رأسا على عقب، وأكد أن المادة أسبق من الفكر، وترى المادية الجدلية أن كل ما في الوجود يحتوي عناصر متناقضة ومتصارعة، وأن الصراع بين المتناقضين أي الشيء وضده ينتج عنه شيء أرقى منه وهذا يوضح طبيعة التطور.

إن المادية الجدلية التي أسسها كارل ماركس هي نتاج مزاوجة أحدثها كارل ماركس بين مادية فيور باخ مع مثالية هيغل التاريخية وتقوم المادية الجدلية على قوانين الديالكتيك الثالثة التي تفسر التطور.

قوانين الديالكتك: المادية الجدلية، نفي النفي، وحدة صراع المتناقضات، تحول الكم إلى الكيف.

- **قانون نفي النفي** : يكتشف هذا القانون عن الاتجاه العام للتطور في العالم المادي وفي تاريخ المجتمع الإنساني فالنظم الجديدة تنفي النظم القديمة ، فنظام الرق مثال قضى على نظام الشيوعية البدائية ، والنظام الاقتصادي قضى على نظام الرق ، والنظام الرأسمالي قضى على النظام الاقتصادي والنظام الاشتراكي قضى على النظام الرأسمالي ، ويمكن تبسيط معنى هذا القانون بقوله : إن كل فكرة تنفي أخرى ثانية ، والفكر الثانية تنفيها فكرة ثالثة وهكذا حتى نصل إلى إقناع صاحب الفكرة الأولى أن فكرته خاطئة ، يرى كارل ماركس أن كل فكرة ، وكل شيء يحمل في ذلته بذور فناءه ، فنقد الأفكار السلبية يؤدي إلى التطور ، والمغزى من هذا أنه وجب على الإنسان أن ألا يتمسك برأيه وأن ألا يرفض المناقشة ، فتطور الأفكار يؤدي إلى تطور الإنسان.
- **قانون تغير الكم إلى كيف**: الكم يمثل التراث والكيف يمثل التحولات، ومفاد هذا القانون أن التراث إذا بقي على حاله ولم يتغير ولم يواكب الصيرورة فإنه يستنتج أفكار سلبية، فالكون في تغير دائم ولابد للإنسان من موالية هذه الضرورة.
- **قانون وحدة صراع المتناقضات أو الأضداد**: مفاده أن كل شيء طبيعي، وكل ظاهرة تشمل ضدها وهذين الطرفين المتضادان يحدث بينهما صراع يفضي إلى تغلب الطرف المعبر عن التقدم فيحدث التحول وهو سبيل التطور.
- **نظرية المادية التاريخية**: هو تطبيق للمادية الجدلية على التاريخ، أي دراسة الحياة الاجتماعية عبر التاريخ، فالعامل المادي هو المسيطر، وهو الذي يؤدي إلى التطور والمجتمع يتقدم وفقا للتنظيم الاقتصادي وأساليب الإنتاج وهو الذي يحدد النظام العام للدولة.

الانتقادات الموجهة للماركسية:

- اتهام سوروكين لماركس بأن نظريته تقوم على الحتمية أو أساس ميتافيزيقي وتقوم على جانب واحد فقط، حيث أنها في حقيقة الأمر علاقة تبادلية تأثر وتأثير.

- بوتومور وجه انتقادات لماركس وأهمها: أن فروض ماركس لها صفة قوانين عامة لكنها مجرد مبادئ نظرية تعتريها أخطاء، فيما يخص الوصف الفعلي لنمط الصراع والتوازن، ولكنه أيده من في خلال الوجهة التاريخية.
- نظرية ماركس تبقى ناقصة وأن الصراع الطبقي لم يتم في الطبقة الرأسمالية للانتقال إلى الطبقة الاشتراكية ومن ثم إلى الشيوعية كما كان يطمح.
- لم يكن ماركس موفقا في تفسير قانون القيمة، اذ لا يمكن التسليم بصحة نظرية قيمة العمل، لأن عنصر العمل ليس هو العنصر الانتاجي الوحيد، وهي تلخص قيمة الانتاج في عنصر العمل دون أن تعطي أي اهتمام لعنصر الطلب على السلع وما يباشره من تأثير على قيمتها.
- وطبقا لنظرية ماركس لا يصل التطور الى الاشتراكية الا بعد ان يكون الاقتصاد قد مر بمرحلة النظام الرأسمالي الصناعي، والواقع يبعث الشك في صحة هذا التفسير، فالدولتين الكبيرتين اللتين تعتبران اليوم موطن الاشتراكية وهما روسيا والصين الشعبية كانتا عند ظهور الاشتراكية فيهما بعيدتين كل البعد عن الرأسمالية الصناعية بل كانتا دولتين اقطاعيتين، وهكذا بين الواقع أن الاشتراكية قد تظهر من غير أن يكون المجتمع قد مر بمرحلة الرأسمالية الصناعية.
- لقد جاء تأكيد ماركس على العامل الاقتصادي كعامل محوري في احداث التغييرات في مختلف المراحل التاريخية ليفهم على أن العوامل المادية هي الحاكمة لمجرى التحول من تشكيلة اقتصادية – اجتماعية، وهو وان كان مؤثرا الا أن هناك عوامل روحية ودينية قد أدت الى تغيرات نوعية كبيرة في مجرى تطور مجتمعات عديدة.